طرفة بن العبد

نحو تصحيح الإطار الزمني لحياة الشعراء الجاهليين*

الدكتور عرسان حسين الراميني
قسم اللغة العربية - جامعة اليرموك

تشير المصادر إلى وفاة طرفة بن العبد البكري عادة في سياق القصة المشهورة الخاصة بما يسمى "صحيفة المتلمس". وتتلخص هذه القصة في أن ملك الحيرة عمرو بن المنذر الثالث بن ماء السماء، المعروف لدى المؤرخين بعمرو بن هند، أرسل مع طرفة والمتلمس كتابين إلى عامله على البحرين يأمره بقتلهما. فكان أن فتح المتلمس كتابه فعلم ما فيه ونجا، بينما لم يفعل ذلك طرفة فانتهى به الأمر إلى القتل وهو شاب في العشرينات من عمره(١).

---

* أشكر الأستاذ الدكتور عفيف عبدالرحمن على تلطفه بقراءة مسودة البحث.

(١) ترد القصة في مصادر عديدة، حول أكثر الروايات تفصيلاً، انظر: الأصفهاني (أبو الفرج على بن الحسين ت٣٦٥هـ): (كتاب الأغاني)، طبعة دار الثقافة، ج٢٤، صص٥٣٩-٠٠ ، البغدادي (عبد القادر بن عمر ١٠٣٠-١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون،القاهرة ١٩٦٧،ج٢،صص٤١٥- ٤٢٤؛ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء Leiden 1902 صص٨٥-٩١، وانظر أيضاً: الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ت٥١٨)، مجمع الأمثال تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت ١٩٨٧، رقم ٢١١٣ (صص ٢٢٤-٢٢٨)؛ أبو البقاء هبة الله الحلي، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات، عمان ١٩٨٤، ج١، صص ١٣١-١٤١ (وفيه أن كتاب طرفة كان إلى الربيع بن حوثرة العبدي عامل عمرو بن هند على البحرين، بينما كان كتاب المتلمس إلى المكعبر أحد مرازبة الفرس)؛ المرزباني أبو عبيد الله محمد بن عمران ت٣٨٤هـ، معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار فراج، القاهرة ١٩٦٠، صص ٥-٦؛ المرتضى (علي بن الحسين الموسوي ت٤٣٦هـ)، غرر الفوائد ودرر القلائد (الأمالي)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٤، ج١، صص ١٨٣-٥؛ ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد ابن محمد ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨-٧٢،ج٦، صص ٢٩-٣.

لقد شك الدارسون المعاصرون في صحة كثير من تفاصيل قصة "صحيفة المتلمس"[٢]، لكنهم في الوقت نفسه قبلوا المعطيات الأساسية السابقة من غير مناقشة. ومن أهم هذه المعطيات الادعاء بأن المسؤول عن مقتل طرفة هو ابن المنذر الثالث، عمرو بن هند، الذي تولى حكم الحيرة ما بين سنتي ٥٥٤ و٥٦٩م. وبناء على ذلك، أجمع الدارسون عموماً على أن طرفة عاش في الفترة الوسيطة من القرن السادس للميلاد، مع اختلافات طفيفة بينهم في تقدير السنة التقريبية لمقتله في تلك الفترة. إن هذا يوضحه الهاشمي حين يقول "غير أن بعض الباحثين المحدثين حاول تحديد سنة ولادته ووفاته بالأرقام. فقد ذهب كل من فون غرونباوم والزركلي إلى أنه عاش بين ٥٣٨-٥٦٤م على وجه التقريب[٣]. وذهب كل من فؤاد أفرام البستاني وحنا الفاخوري إلى أن حياته كانت على وجه التقريب أيضاً بين ٥٤٣-٥٦٩. وقال مصطفى صادق الرافعي في تحديد سنة وفاته "ويقال إن مقتله كان بعد سنة ٥٥٢ بعد الميلاد وقبل سنة ٥٦٤" وهذا ما رجحه الدكتور بدوي طبانة منكراً على الرافعي رقمه الأول. أما جرجي زيدان فذهب إلى أن وفاة طرفة كانت سنة ٥٠٠م، وذهب شيخو إلى أن وفاته سنة ٥٦٤، وانفرد عمر فروخ بتحديد سنة وفاته بنحو ٥٦٠". ويتابع الهاشمي فيقول "ونحن إذا نظرنا في هذه الأرقام.... ترجّح لدينا أن أقربها إلى

---

(٢) لاحظ هذه الشكوك في: علي الجندي، الشاعر الجاهلي الشاب طرفة بن العبد - تحقيق ودراسة لشعره وشخصيته، القاهرة ١٩٨٠، ص١٥؛ وانظر أيضاً حسن جعفر نور الدين، طرفة بن العبد: سيرته وشعره، بيروت ١٩٩٠، ص,٣٥ من الطريف أن عمر فروخ يشير في الحاشية، إلى الرواية الشائعة عن مقتل طرفة واصفاً اياها بأنها مصنوعة، بينما في المتن يذكر من غير الإشارة إلى مصدره أن طرفة "قتل مع عمرو بن مامة (أمامة)، أخي عمرو بن هند أثناء رحلة تجارة لهما إلى اليمن" (تاريخ الأدب العربي، بيروت ١٩٨٥، ص١٣٦). إن الرواية السائدة الخاصة برحلته مع عمرو بن أمامة إلى اليمن لا يفهم منها ذلك، ثم إن شعره يدل على أنه عاد من تلك الرحلة سالما(انظر ديوان طرفة بن العبد تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، دمشق١٩٧٥، رقم ٤١).

(٣) يبدو أن الهاشمي أساء اقتباس جرونباوم هنا، إذ في الحقيقة يرى هذا الأخير أن التاريخ التقريبي لولادة طرفة ووفاته هو سنتا ٥٣٥، ٥٦٨م على التوالي Gustave E. von Grunebaum, *Themes in Medieval Arabic Literature*, London 1981 (collected studies), Article iii, p.126.

الصواب في تاريخ ميلاده ما ذهب إليه كل من الزركلي وفون غرونباوم، أي نحو سنة ٥٣٨م. أما سنة مقتله فأرجح أنها كانت نحو سنة ٥٦٧م، وذلك أن طرفة غادر حيه مطوفاً في الآفاق..."[٤].

في مقابل ذلك كله، تحتوي بعض المصادر على روايات تخالف ما استقر في الأذهان من أن طرفة ينتمي إلى عهد عمرو بن المنذر الثالث، لكنها حتى الآن لم تلق اهتماماً كافياً في الدراسات المعاصرة[٥]. هذه الروايات تعود بالشاعر، بدلاً من ذلك، إلى فترة آخر الملوك اللخميين، النعمان بن المنذر، الذي حكم الحيرة خلال العقدين الأخيرين من القرن السادس للميلاد (٥٨٠/٥٨٢-٦٠٢/٦٠٤). ففي؛ "نشوة الطرب"، يخبرنا ابن سعيد الأندلسي (ت٦٨٥هـ) أن طرفة "كان ينادم النعمان بن المنذر" وأن هذا الأخير حنق عليه بسبب شعر هجاه

---

(٤) محمد علي الهاشمي، طرفة بن العبد: حياته وشعره، بيروت ١٩٨٠، صص ٣٩-٤٠. بالإضافة إلى الدارسين الذين يذكرهم الهاشمي هنا، انظر أيضا، فيم يتعلق بالرأي التقليدي في طرفة: علي الجندي، طرفة، ص ١٠؛ حسن نور الدين، طرفة، Nicholson R.A., A Literary history of the Arabs, Cambridge, 1962 (first edn. 1906), pp. 107-14 ناصر الدين الأسد، "مقدمة لدراسة القبائل العربية في الخليج قبل الإسلام: هجراتها وعلاقاتها بالقبائل الأخرى بالجزيرة العربية"، دراسات عربية وإسلامية (مهداة إلى إحسان عباس بمناسبة بلوغه الستين)، تحرير وداد القاضي، بيروت ١٩٨١، ص٤٧؛ Abdulla El-Tayibi, "Pre-Islamic Poetry", *The Cambridge history of Arabic literature*, London 1983 pp. 76-8 عبد الله التطاوي، القصيدة العربية بين الجاهلية وصدر الإسلام، القاهرة ١٩٨٤، صص ٨١-؛ عمر شرف الدين، الشعر في ظلال المناذرة والغساسنة، القاهرة ١٩٨٧، صص ٥٥-٦٤؛ عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، القاهرة ١٩٨٨، ص ٢٥٢؛ محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الجاهلي: نصوص ودراسة، بيروت ١٩٩١، ص١١٤.

(٥) فقط الهاشمي يذكر رواية الشريف المرتضى المشار إليها لاحقاً (حاشية ٧) ثم يرفضها بشدة على أساس أن "أبا منذر" في هذا الشعر ليس بالضرورة أن يكون النعمان، وأيضا على أساس أن اسم عمرو بن هند يتكرر في شعر لطرفة هو أثبت من الشعر الذي يذكره المرتضى وأنه من الثابت أن عمرو بن هند تولى الحكم قبل النعمان وأن طرفة مات في عهده (طرفة ص٦٤).

فيه "فكتب له وللمتلمس لعامله على البحرين بأن يقتلهما.[٦]" وبعد أن يذكر ابن سعيد هذا الخبر، يشير إلى الرواية القائلة إن الذي أمر بقتل طرفة هو عمرو بن هند "وقد قيل إن عمرو بن هند هو الذي أمر بقتله".

هذه الإشارة إلى الاختلاف فيمن أمر بقتل طرفة وردت قبل ذلك في كتاب "الغرر والدرر" للشريف المرتضى (٤٣٦هج)، وفيه يؤيد الشريف الرأي القائل بأن المسؤول عن قتل طرفة هو النعمان بن المنذر[٧]، وهو بذلك يتفق مع ابن سعيد الأندلسي، الذي يعرض الخبر بطريق نفهم منها أنه يميل هو الآخر إلى هذا الرأي. وتلك الإشارة نفسها نصادفها كذلك في كتاب أقدم هو "جمهرة الأمثال" لأبي هلال العسكري (ت٣٨٢هج)، لكن من غير ترجيح مباشر لواحدة من الروايتين على الأخرى[٨]. بالإضافة إلى ذلك، يضمن خبر الصحيفة، كما ورد في رواية أبي عبيد،إشارة واضحة إلى أن هذه الحادثة وقعت في عهد النعمان بن المنذر "لما بلغ النعمان بن المنذر لحوق المتلمس بالشام، وكانت غسان قتلت أباه يوم عين أباغ، شق عليه لحوقه بغسان وحلف ألا يدخل العراق ولا يطعم بها

---

(٦) ابن سعيد الأندلسي (علي بن موسى بن محمد ت ٦٨٥)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبدالرحمن، عمان ١٩٨٢، صص ٦٢١-٢. من المحتمل جداً أن تكون القصة نفسها مصنوعة لكن فكرة علاقة طرفة ببلاط النعمان هي المهمة هنا.

(٧) "ويقال إن صاحب المتلمس وطرفة في هذه القصة هو النعمان بن المنذر، وذلك أشبه بقول طرفة:

أبا منذر كانت غروراً صحيفتي ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وأبو منذر هو النعمان بن المنذر، وكان النعمان بعد عمرو بن هند، وقد مدح طرفة النعمان، فلا يجوز أن يكون عمرو قتله، فيشبه أن تكون القصة مع النعمان (ج١، ص ١٨٥). أيضاً يورد الميداني البيت الثاني ويقول في التقديم له ؛ "هذا من قول طرفة بن العبد حين أمر النعمان بقتله (مجمع الأمثال، ج١، ص ١٦٤).

(٨) الحسن بن عبدالله بن سهل، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش، القاهرة ١٩٦٤، رقم ١٠٨٦.

حتى يموت"[٩]. ومن الجدير بالملاحظة أن أبا العلاء المعري انتبه إلى انقسام الناس إلى فريقين حول من المسؤول عن مقتل طرفة، لكنه لم يحاول تأييد فريق على آخر[١٠]. هذا الرأي الآخر في المصادر، وهو أن طرفة قُتل في عهد النعمان بن المنذر وليس في عهد عمرو بن هند، يوجد عليه دليل مباشر في شعر طرفة نفسه، وإن تجاهلت الدراسات المعاصرة عموماً هذه الحقيقة، ربما على أساس أن شعره الذي يمثل ذلك ليس من مرويات الأصمعي، الإخباري الأكثر احتراساً: ففي قصيدة له رائية يذكر طرفة النعمان حانقاً عليه بسبب مواعيده الكاذبة[١١]؛ وفي قصيدة ضادية تعد من مشاهير شعره، ينتقده بشدة بسبب حرب إبادة يسعرها ضد ضبيعة، عشيرة الشاعر، بالتعاون مع الجماعات الموالية للحيرة بالبحرين[١٢]؛ وأخيراً، يذكره في قصيدة يائية مشيراً مرة أخرى إلى

---

(٩) الأغاني، ثقافة، ج٣، ص٥٤٩. ومع ذلك يقول أبو عبيدة في رواية أخرى مسندة إليه "لما لحق المتلمس بالشام هارباً من عمرو بن هند" (المصدر نفسه، ص ٥٥٤).

(١٠) (رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرحمن، القاهرة ١٩٧٧، ص٣٣٨) اقتبسها جواد علي (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت ١٩٦٩، ج١، ص٢٤٦) واقتبسها أيضاً الهاشمي (طرفة، ص٦٣)، لكن من غير تعليق.

(١١)

فدعها وانحل النعمان قولاً كنحت الفأس ينجد أو يغور

(ديوان طرفة، قصيدة٣٨، بيت ٥)

(١٢)

ألا أبلغا بكر العراق بن وائل بكأس سقى النصري شاربها رمض
فإن يقتل النعمان قومي فإنما هي الميتة الأولى وتقدمة القبض
فميلوا على النعمان في الحرب ميلة وكعب بن زيد فاشغلوه عن المحض

(السابق، قصيدة ٥٦، أبيات:٣٨-٤٠). لاحظ ما جاء في تحقيق البيت الأول "يقصد "بالنصري" في هذا البيت و "النعمان" في البيتين ٣٩، ٤٠ الآتيين: عمرو بن هند" (ديوان طرفة بن العبد: تحقيق وتحليل ونقد، القاهرة ١٩٥٨، البيتان: ٦١٦،٦١٧). وهذا أيضاً ما يقوله عمر شرف الدين دون الإشارة إلى الجندي (المتجردة، ص٥٩، الحاشية).

سياسة التعسف التي يتبعها ضد قومه[١٣]. طبعاً، من ناحية نظرية، تعد رواية الأصمعي للشعر القديم أكثر دقة من غيرها، لكن يبقى تصحيح الشعر الجاهلي أمراً نسبياً عموماً. فالأشعار المروية عن غير طريق الأصمعي وسواه من ثقات المشتغلين بجمع الشعر الجاهلي تظل أشعاراً مقبولة ما لم يقم الدليل على بطلانها سواء كان هذا الدليل من داخل القصيدة أو خارجها. كذلك المرويات التي استقبلها الناس باحترام شديد منذ عصر التدوين حتى الآن، لا يدعي لها أحد مطلق الصحة. ومهما يكن من أمر، فإن قصائد طرفة آنفة الذكر لم توجه إليها قديماً اتهامات بالزيف، وكذلك لم يشك فيها أحد من محققي شعره، على الرغم من أن هؤلاء لم يحاولوا التوفيق بين الرأي الشائع حول مقتله من ناحية، وبين ذكر النعمان بن المنذر في شعره من ناحية أخرى. فقط درية الخطيب ولطفي الصقال أشارا في معرض شرحهما على أحد الأبيات التي ذكر فيها النعمان إلى أن هذا الأخير هو عمرو بن هند[١٤]، ثم أكدا الشيء نفسه في فهرس الأعلام الملحق بالديوان، وذلك كما يفهم من قولهما "عمرو بن هند= النعمان بن المنذر= النصري= أبو منذر". لكنهما، في المقابل، لم يبينا للقارئ كيف حدث أن عمرو بن هند والنعمان بن المنذر شيء واحد.

طبعاً عمرو بن هند هو الآخر ورد ذكره في شعر طرفة، وبالتحديد في خمس قصائد منسوبة إلى الشاعر، واحدة منها فقط رواها الأصمعي، وهي قصيدة رائية تقع في ثمانية أبيات [١٥]؛ ولكن من الطريف أن مروية الأصمعي

---

(١٣)

خرجنا وداعي الموت فينا يقودنا وكان لنا النعمان بالسيف حاديا

(السابق، قصيدة ٩١، بيت ٣).

(١٤) انظر حاشية ١٢.

(١٥) وهي القصيدة رقم ٩ في الديوان. أرقام القصائد وأرقام الأبيات الخاصة بالمواطن الأربعة الباقية هي على التوالي: ٢:٣٣، ١:٤١، ٥:٥٠، ١:٦٦.

هذه جاءت في رواية ابن السكيت مكونة من ثلاثة وعشرين بيتاً[١٦]، أي بزيادة خمسة عشر بيتاً تؤلف هي نفسها القصيدة الرائية رقم ٣٨ في طبعة مجمع دمشق، حيث واحد من المواطن الثلاثة التي ذكر فيها النعمان، أي أن عمرو بن هند والنعمان بن المنذر ذكرا معاً في قصيدة واحدة في رواية ابن السكيت؛ وإذا ما صح أن كنية؛ "أبو منذر" في شعر طرفة هي لعمرو بن هند، وهو الحاصل فعلاً كما يبدو[١٧]، فإن القصيدة الضادية رقم ٥٦ في طبعة مجمع دمشق تمثل نموذجاً آخر يظهر فيه ذكر الشخصيتين معاً في موطن واحد. إن ما يمكن استفادته هنا هو أن بعض القدماء لم يجدوا حرجاً في نسبة شعر إلى طرفة يذكر فيه النعمان بن المنذر إلى جانب عمرو بن هند.

إذا كان عمرو بن هند هذا الذي يرد ذكره في شعر طرفة هو نفسه عمرو بن المنذر الثالث كما يعتقد عموماً، فإنه حتماً لا سبيل إلى التوفيق بين الروايتين المتضاربتين أعلاه، وبالتالي ينبغي أن نلقي جانباً كل ما يتعلق بالنعمان في شعر طرفة أو أن نقول مع طبعة مجمع دمشق إن النعمان بن المنذر هو عمرو بن هند وإن عمرو بن هند هو النعمان بن المنذر. لكن المصادر، لحسن الحظ تتيح لنا مخرجاً واسعاً من هذا المأزق. فالخطيب البغدادي (١٠٩٣ت هج) يروي خبر؛ "الصحيفة" في سياق تعليقه على الشاهد رقم ١٥٢ وفي نهاية الخبر يسجل ملاحظة مهمة فيقول " وعمرو بن هند المذكور هنا هو من ملوك الحيرة، كان عاتياً جباراً ويسمى محرقاً أيضاً،لأنه حرق بني تميم،وقيل بل حرق نخل اليمامة.والنعمان بن المنذرصاحب النابغة أخو عمروبن هند،وسيأتي إن شاء

---

(١٦) انظر (ديوان طرفة)، ص١٥٢، حاشية ٤؛ قارن ما جاء في مقدمة التحقيق عن نسخة قازان (ص:ك).

(١٧) من المستبعد أن تكون هذه الكنية للنعمان بن المنذر، على النقيض مما يرى المرتضى والميداني؛ (انظر حاشية ٧)، إذ من المعروف على نطاق واسع في المصادر أن كنية النعمان هي "أبو قابوس" Rothstein, G. *DieDynastie der Lahmiden in al-Hira*, Berlin 1899, p 107؛ ابن منظور (جمال الدين أبو الفل محمد بن مكرم ت٧١١)، لسان العرب، مادة: قبس). أضف إلى ذلك أنه في مقابل كنية؛ "أبو قابوس"، التي ترد كثيراً في الشعر الجاهلي في سياق مخاطبة النعمان أو الحديث عنه، فإن كنية "أبو منذر" لم تستعمل لذلك قط، في حدود معرفتي.

الله تعالى نسب عمرو بن المنذر في نسب أخيه النعمان بن المنذر في الشاهد الثالث بعد هذا"[١٨]. وفي تعليقه على هذا الشاهد الثالث، وهو الشاهد رقم ١٥٥، يتتبع البغدادي تعاقب ملوك آل نصر على حكم الحيرة نقلاً عن كتاب العمدة لابن رشيق (ت ٤٦٣هج)، ويقول في معرض ذلك مقتبساً هذا الأخير؛ "ثم عمرو بن المنذر بن المنذر وهو عمرو بن هند ملك بعد المنذر بن المنذر وقبل النعمان بن المنذر صاحب النابغة وهو آخر ملوك لخم"[١٩].

إن ما يذكره البغدادي في هذا الصدد أمكن تتبعه في مصادر أقدم من "العمدة": فالقائمة بأسماء ملوك الحيرة وفق التسلسل الذي يراه ابن رشيق موجودة في معارف ابن قتيبة[٢٠] المتوفى سنة ٢٧٦هج؛ أيضاً يروي المبرد(٢٨٦هج) خبر وفادة على عمرو بن هند قام بها أوس بن حارثة بن لأم وحاتم الطائي، ويعرف المبرد خلال ذلك بعمرو بن هند قائلاً إنه ابن المنذر بن المنذر بن ماء السماء[٢١]؛ كذلك في سياق شرحه على البيت الستين من معلقة الحارث بن حلزة اليشكري، يخبرنا أبو جعفر النحاس "أن عمرو بن هند لما قتل أبوه وجه أخاه

---

(١٨) خزانة الأدب، ج٢ ص ٤٢٥. تعليق المحقق على معلومة البغدادي محاولة غير ضرورية للدفاع عن الرأي التقليدي؛ إن وقوع تصحيف في العبارة هنا أمر يصعب تصوره، أولاً لوضوح السياق، وثانياً لورود هذه المعلومة في أشكال مختلفة في غير موطن في الخزانة (انظر، بالإضافة إلى ما سبق: ج٢، ص٤٥١؛ "عمرو بن المنذر بن المنذر وهو عمرو بن هند"؛ ج٤، ص٤٤٢؛ "عمرو بن هند وأبوه المنذر بن ماء السماء"؛ ج٨، ص ٤٩٤؛ ج٩، ص٤٠١؛ ج١١، ص٢٦٩).

(١٩) ج٢، ص٤٥١. نص ابن رشيق يجري كالتالي: ثم المنذر بن المنذر، وهو الأصغر، ثم أخوه عمرو بن المنذر، وهو عمرو بن هند، ويسمى محرقا لأنه حرق بني تميم، وقيل: بل حرق نخل اليمامة، ثم النعمان بن المنذر صاحب النابغة" (الحسن بن رشيق القيرواني ٤٦٣هج، (العمدة، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، بيروت ١٩٧٢، ج٢، ص٢٢٩).

(٢٠) تحقيق ثروت عكاشة، القاهر ١٩٦٩، صص ٦٤٥-٩. من جانبه يقدم اليعقوبي رواية شاذة يظهر فيها ابنان للمنذر الثالث، كل منهما اسمه عمرو، والثاني هو صاحب لقب "ابن هند"، وقد خلفا أباهما الواحد بعد الأخر (اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ت بعد٢٩٢هج)، تاريخ، بيروت، ص ٢١٠).

(٢١) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت٢٨٦هج، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، القاهرة، ج١، صص ٢٣١-٢.

النعمان وحشد معه من قدر عليه من أهل مملكته وأمره أن يقاتل بني غسان ومن خالفه من بني تغلب"[٢٢]. إن ما يرويه ابن النحاس هنا يتفق، كما هو واضح، مع قائمة ابن قتيبة التي تجعل ملك عمرو بن هند بعد ملك المنذر بن المنذر وقبل ملك النعمان.

على أن أقدم مصدر بين أيدينا نستفيد منه، في الأقل، أن شخصية لخمية تعرف بعمرو بن هند كانت معاصرة للنعمان بن المنذر هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤هج. ففي حديثه عن العداوة بين قبيلتي بكر وتغلب، يخبرنا أبو الفرج، بإسناد إلى ابن الكلبي، أن كلاً من هاتين القبيلتين أودعت رهناً لدى ملك الحيرة ضماناً لالتزامهما بشروط الصلح الذي عقده هذا الأخير بينهما فلبثوا كذلك إلى ما شاء الله، ثم يتابع أبو الفرج فيقول (بالإسناد نفسه) "فسرح النعمان بن المنذر ركباً من بني تغلب إلى جبل طيئ في أمر من أموره فنزلوا بالطرفة، وهي لبني شيبان وتيم اللات، فذكروا أنهم أجلوهم عن الماء وحملوهم على المفازة فمات القوم عطشاً. فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وأتوا عمرو بن هند فاستعدوه على بكر وقالوا غدرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحرمة وسفكتم الدماء."[٢٣]

نظرياً، يمكن أن يفسر هذا الخبر، الذي ينقله ابن الكلبي عن أبيه، بطريق تتفق مع رواية أبي جعفر النحاس، التي بدورها تتفق مع تسلسل ملوك الحيرة في قائمة ابن قتيبة، أي أن عمرو بن هند كان ملك الحيرة آنذاك بينما كان النعمان بن المنذر في خدمته، وليس العكس. لكن عملياً، هذا التفسير لا يصح، لأنه ببساطة يتعارض مع رأي ابن الكلبي نفسه في تسلسل ملوك الحيرة. فعمرو بن

---

(٢٢) أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس ت٣٣٨هج، شرح القصائد التسع المشهورات، تحقيق أحمد خطاب، بغداد ١٩٧٣، ص٥٩٤. والرواية نفسها يوردها التبريزي أبو زكريا يحيى ابن علي بن محمد ٥٠٢هج)، شرح القصائد العشر، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت ١٩٨٠، ص٤٠١.

(٢٣) أغاني (دار الكتب، القاهرة ١٩٢٧-١٩٧٤) ج١١، ص٤٤ (ستكون الإشارة من الآن فصاعداً إلى هذه الطبعة إلا إذا نصّ على غير ذلك).

هند، في روايته، هو عمرو بن المنذر الثالث بن ماء السماء ويضعه مباشرة بعد أبيه المنذر، ثم يضع بعده أخاه قابوساً، ثم أخاه المنذر بن المنذر، ثم ابن هذا الأخير النعمان بن المنذر بن المنذر[٢٤]. طبعاً، لن نخوض في تفاصيل الخلاف الشديد في المصادر حول تسلسل ملوك الحيرة وسني حكم كل منهم، فهذه القضية، وبخاصة بالنسبة إلى المنذر الثالث وخلفائه، قد حسمت منذ فترة طويلة نسبياً، والفضل في ذلك يعود لسدني سميث في مقاله عن أحداث الجزيرة العربية في القرن السادس للميلاد[٢٥]، وقد جاءت نتائجه، وهي مبنية على استشارة مصادر متنوعة، عربية وغير عربية ونقوش، تؤكد الهيكل العام لرواية ابن الكلبي عن ملوك الحيرة.[٢٦]

من الواضح، إذن، أن بعض الإخباريين كان لديهم معلومات تشير إلى وجود أخ للنعمان بن المنذر يقال له عمرو بن هند وإلى أن عمراً هذا كان يتمتع بسلطة كبيرة في الحيرة ويقود الجيوش وينعم بلقب "ملك" تبعاً للعرف السائد آنذاك، وهو استعمال هذا اللقب أيضاً في مخاطبة أبناء الملك الفعلي وإخوته؛ ويبدو أن هذا الوضع دفع أناساً منهم إلى الاعتقاد بأن هذا الأمير اللخمي حكم الحيرة فترة من الزمن، وفي هذه الحالة لا يمكن أن يكون موقعه بين ملوك الحيرة إلا بعد أبيه المنذر بن المنذر وقبل أخيه النعمان، فوضعوه هناك في

---

(٢٤) انظر قائمة ابن الكلبي بأسماء ملوك الحيرة وسني حكمهم في جواد علي :المفصل، ج٣، صص ٣٠٦-٨. ومن الجدير ملاحظة أن قائمة ابن الكلبي، خاصة في الجزء الخاص بالمنذر الثالث وخلفائه، تتفق مع قائمتي ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن حبيب، (المحبر، تحقيق Lichtestaedter, I. بيروت ١٩٦٢ص ٣٥٨) وحمزة الأصفهاني (أبو عبد الله بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، بيروت ، صص ٨٣-٧).

(٢٥) Smith, S., "Events in Arabia in the sixth century A.D. ",*Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, 26(1954).

(٢٦) إن هذا التفسير لرواية ابن الكلبي يجد أيضاً ما يؤيده في رواية ينقلها الميداني، تجري كالتالي: كان مخالس بن مزاحم الكلبي وقاصر بن سلمة الجذامي بباب النعمان بن المنذر، وكان بينهما عداوة، فأتى قاصر إلى ابن فرتنى، وهو عمرو بن هند أخو النعمان بن المنذر، وقال...(مجمع الأمثال)، ج١، صص٣٦٩-٧٠). يقتبسها أحمد زكي صفوت (جمهرة خطب العرب، القاهرة ١٩٦٢، ج١، ص٦٥).

قوائمهم؛ لكن هذا الاعتقاد لم يعد له قيمة منذ أن أصبح من الثابت أن النعمان بن المنذر هو الذي خلف أباه على عرش الحيرة. إن عمرو بن هند في رواية ابن الكلبي آنفة الذكر ينبغي إذن أن يكون أميراً لخمياً مكلفاً الإشراف على القبائل وإدارة شؤون الحرب في مملكة الحيرة في عهد أخيه النعمان بن المنذر[٢٧].

هذه النتيجة يمكن تعزيزها بإشارة نادرة يوردها أبو الفرج الأصفهاني في سياق ترجمته للشاعر المنخل اليشكري. ففي حديثه عن سبب قتل المنخل[٢٨] يقول أبو الفرج في رواية مسندة إلى أبي عمرو الشيباني[٢٩]."إن المتجردة- واسمها ماوية، وقيل: هند بنت الأسود بن المنذر الكلبية- كانت عند ابن عم لها يقال له حلم، وهو الأسود بن المنذر بن حارثة الكلبي، وكانت أجمل أهل زمانها. فرآها المنذر بن المنذر الملك اللخمي فعشقها. فجلس ذات يوم على شرابه ومعه حلم وامرأته المتجردة، فقال المنذر لحلم: إنه لا يليق بالرجل أن يقيم على المرأة زماناً طويلاً حتى لا يبقى في رأسه شعرة بيضاء إلا عرفتها، فهل لك أن تطلق امرأتك المتجردة وأطلق امرأتي سلمى قال: نعم. فأخذ كل واحد منهما على صاحبه عهداً. قال فطلق المنذر امرأته سلمى وطلق حلم امرأته المتجردة، فتزوجها المنذر، ولم يطلق لسلمى أن تتزوج حلماً وحجبها، وهي أم ابنه النعمان بن المنذر، فقال النابغة يذكر ذلك:

---

(٢٧) ومع ذلك، انظر، حاشية ٣١.

(٢٨) المنخل يمثل حالة مشابهه لحالة طرفة من حيث اختلاف الإخباريين فيمن قتله أهو عمرو بن هند أم النعمان بن المنذر، والفرق بينهما، بالإضافة إلى دواعي القتل. إن الروايتين المتناقضتين هما، بالنسبة إلى المنخل، على درجة واحدة من الشيوع تقريبا. إن الدارسين المعاصرين يميلون في العادة إلى رفض رواية مقتل المنخل على يد عمرو بن هند، وذلك بسبب شهرة حبه للمتجردة امرأة النعمان (انظر عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي)، ج١، صص١٦٨-٩؛ أحمد الربعي، المتجردة، بغداد ١٩٧٨، صص ٣٢-٤١،٣٦).

(٢٩) أغاني، ج٢١ (تحقيق العزباوي بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم) صص ٢٠٠-١. هذه الرواية مذكورة في أكثر من مصدر، مع اختلافات طفيفة (انظر الربعي، المتجردة)، لكن في رواية أبي البقاء أن قصة حلم/جلم هي مع النعمان وليس مع أبيه، المنذر (المناقب، ج١، ١٤٧ - ٨). لا يذكر الربعي رواية أبي البقاء.

قد خادعوا حلماً عن حـــرة خـــرد حتى تبطنها الخداع ذو الحلـــم[٣٠]

قال ثم مات المنذر بن المنذر، فتزوجها بعده النعمان بن المنـــذر، ابنـــه.". وهكذا تجعل المصادر من المحتمل أن يكون للمنذر الرابع زوجة اســـمها هنـــد، وبالتالي، أن يكون ابنه عمرو منسوباً لهند تلك[٣١].

حتى الآن لا تعني هذه النتيجة فيما يتعلق بهوية عمرو بن هند سوى أنـــه كان هناك أميران لخميان، كل واحد منهما، كما يفهم الإخباريون، يحمـــل هـــذا الاسم، الأول عمرو بن المنذر الثالث، الذي حكم الحيرة في أواسط القرن السادس للميلاد، والثاني عمرو بن المنذر الرابع، وكان متنفذاً جداً في عهد أخيه النعمان في أواخر ذلك القرن؛ فأي منهما هو صاحب طرفة؟ إذا لم نشأ إثارة شك حـــول صحة الأبيات التي ورد فيها ذكر النعمان في الشعر المنسوب إلى طرفة، فـــإن الإجابة عن هذا السؤال جاهزة على الفور؛ لكن ما دام دارسو حياتـــه ومحققـــو ديوانه قد غضوا الطرف عموماً عن ورود اسم النعمان في شعره، وبذلك عبروا ضمنياً عن شكهم في صحة الأبيات ذات العلاقة، فإنه ينبغي أن نقدم أدلة أخرى تثبت أن عمرو بن هند الذي يذكره طرفة إنما هو عمرو بن المنذر الرابع أخـــو النعمان. هذه الأدلة تتمثل إجمالاً في عدد من الحقائق تشير مجتمعة إلى أن طرفة كان، في الواقع، نشطاً في أواخر القرن السادس للميلاد، وليس في أواسطه، وإذا كان عمرو بن هند هو المسؤول عن قتله فلا بد أن يكون عمرو هذا هـــو ابـــن

---

(٣٠) في ديوان النابغة: وقال النابغة في زوج المتجردة واسمه جلم:

تسفهوا جلماً عـــن طفلـــة رؤد حتى تقممها الكـــرّاز ذو الحلـــم
ما كان من جلم في معصد خلف مخرب بيت الغنى ومورث العدم

(صنعة ابن السكيت، تحقيق شكري فيصل، دمشق ١٩٦٨، قصيدة ٤٢).

(٣١) طبعا هذا مخالف للاتجاه السائد في المصادر وهو أن هند التي ينسب إليها عمرو بـــن المنذر هي ابنة ملك كندة المشهور الحارث بن عمرو وزوجـــة المنـــذر الثـــالث، لكـــن المصادر هنا ليست مقنعة بتاتا (انظر الخاتمة).

المنذر الرابع[٣٢].

من بين الشخصيات القبلية القليلة إلى يرد ذكرها في شعر طرفة، يبرز عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد بوصفه الأكثر حضوراً. فهو يستحوذ على قصيدتين من أصل أربع عشرة قصيدة يرويها الأصمعي لطرفة[٣٣]، وفي هاتين القصيدتين يهجوه الشاعر هجاء مراً ويتهمه بإفشاء سره وبأنه يتنكر لأبناء عمومته، بينما هو سهل في معاملته للأباعد. إنه في ضوء هذه العلاقة المتوترة بين الرجلين يفسر المؤرخون عادة مقتل طرفة، إذ يقولون إن عبد عمرو بن بشر هو الذي أخبر عمرو بن هند بأهاجي طرفة فيه فأوغر صدره عليه وانتهى الأمر إلى الإيعاز بقتله. وفي سياق هذه القصة نفسها يخبرنا المؤرخون أن عبد عمرو بن بشر كان متزوجاً من أخت طرفة، ونفهم منهم أيضاً أنه كان يحظى بمكانة خاصة لدى عمرو بن هند، وأنه بالتالي كان يتمتع بنفوذ واسع في أوساط بني قيس بن ثعلبة، وهذا ما ينص عليه ابن قتيبة حرفياً حين يصف عبد عمرو بن بشر بأنه كان سيد زمانه[٣٤]، وهو أيضاً ما يتضمنه ابن حبيب حين يدرج اسم عبد عمرو بن بشر في قائمة "الأشراف العرجان"[٣٥].

إن الإشارات المتعلقة مباشرة بعبد عمرو بن بشر محدودة للغاية، لكن لحسن الحظ توجد واحدة منها تفصح بوضوح عن الجبل الذي ينتمي إليه. فقد ورد ذكره بوصفه قائداً لإحدى الكتائب التي قاتلت الفرس في ذي قار[٣٦]، أي بعد زمن يسير من إقصاء النعمان بن المنذر عن الحكم في سنة (٦٠٢/٦٠٤م). هذا يعني أن عبد عمرو بن بشر كان من رجال أواخر القرن السادس وأول السابع للميلاد، وهي حقيقة يمكن تعزيزها بأدلة ظرفية تتعلق مباشرة بأقرباء لعبد

---

(٣٢) هذا لا يتعارض مع الرواية الي تسند المسؤولية عن قتل طرفة إلى النعمان بن المنذر (حاشية ٦)؛ إن عمرو بن هند يمثل النعمان.

(٣٣) هما ٤ و ٨ في الديوان.

(٣٤) الشعر والشعراء، ص ٨٩س٣

(٣٥) المحبر، ص٣٠٤.

(٣٦) أغاني ج٢٤ (تحقيق العزباوي ومطر بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص٦٦.

عمرو، وبالتحديد جده عمرو بن مرثد، وابنه حمران، وجماعة من أبنـــاء عمـــه الأدنين. فجده عمرو بن مرثد كان زعيماً قبلياً مرموقاً في عهد المنذر الثالث، جد النعمان. فقد أسند إليه المنذر، كما نفهم من الأنباري، مهمة جمع الإتاوة من قبائل ربيعة[٣٧]. وفي شعر طرفة يرد ذكره بطريقة تدل على سعة النفوذ الـــذي كـــان يتمتع به آنذاك، إذ يقول طرفة في معلقته (وربما كان قد أنشدها في بلاط الحيرة) إن ربه (ويعني به ملك الحيرة على الأرجح) لو شاء جعله في منزلة قيـــس بـــن خالد ذي الجدين أو في منزلة عمرو بن مرثد[٣٨]، وهو هنا يشير إلى منزلة هذين الزعيمين كشيء من الماضي بالطبع[٣٩]. هذه المكان لعمرو بن مرثد في بـــلاط الحيرة ينبغي أن تعود في تاريخها إلى الجزء الأخير من عهد المنذر الثالث، بعد أن قضى اللخميون على نفوذ كندة في شرق الجزيرة العربية ووسطها واستقطبوا بالتالي قبائل بكر بن وائل إلى جانبهم، وتم ذلك في الثلاثينات من القرن السادس للميلاد[٤٠]. وهكذا إذاً كانت زعامة عمرو بن مرثد قد انتعشت في أواسط القرن السادس ، فطبيعي أن تكون زعامة حفيده عبد عمرو بن بشر بدأت في الظهـــور في أواخر ذلك القرن.

كذلك أخبار حمران، الابن الوحيد المشهور لعبد عمرو بن بشر، تؤكد مـــا

---

(٣٧) الأنباري (محمد بن القاسم ت٣٢٨هج)، شرح المفضليات، تحقيـــق Lyall, C., Oxford 1921 ص٢٢٤س١.

(٣٨)

فلو شاء ربي كنت قيس بن خـــالد ولوشاء ربي كنت عمرو بن مرثد

(الديوان، قصيدة ١، بيت ٨٠).

(٣٩) وذلك في مقابل الخبر الذي يذكر عادة في شرح هذا البيت، وهو أن عمرو بـــن مرثـــد حين سمع قول طرفة استدعاه فأمر أبناءه، وهم سبعة، أن يعطوه عشرا عشرا من الإبل، ثم أمر ثلاثة من أحفاده أن يعطوه كذلك، حتى حصل له مائة بعير (انظر السابق). ربمـــا تكون هذه القصة غير صحيحة بالنظر إلى العداوة بين طرفـــة وعائلـــة مرثـــد. أمـــا إن صحت، فإنه ليس دون مغزى أن يكون أبناء عمرو بن مرثد وأحفاده هم الذيـــن أعطـــوا طرفة، وليس عمرو بن مرثد نفسه.

(٤٠) Olinder, G., "The King of Kinda", *Lunds Universitets Årsskrifts* (Nova series, band 23(1927), pp. 90ff.

سبق. فحمران ينتمي، كما هو واضح من تلك الأخبار، إلى جيل البعثة النبوية، أي إلى جيل العقدين الثاني والثالث من القرن السابع للميلاد. إنه هو شخصياً، على الرغم من كونه، كما نفهم من ابن حبيب، واحداً من شيوخ القبائل المتنفذين في شرق الجزيرة العربية[٤١]، ليس له اتصال مع النبي، وهو وضع طبيعي منذ أن كانت عائلة مرثد التي ينتمي إليها هي واحدة من أبرز العائلات المؤيدة للإمبراطورية الفارسية في البحرين؛ وقد تزعمت هذه العائلة ممثلة بشريح بن ضبيعة، الملقب بالحطم، حملة عسكرية واسعة النطاق لإنهاء النفوذ الإسلامي هناك وإعادة المنطقة إلى حظيرة الفرس[٤٢]. لكن مع ذلك، تكتسب الإشارات المتعلقة بشيوخ معاصرين لحمران مغزى خاصاً في صدد ما نحن فيه. فحمران له اسم في سجل أيام العرب، إذ يذكره مؤرخو الأيام في ثلاث مواجهات كبيرة كلها حدثت مع تميميين[٤٣]، ويبرز من قادة تميم فيها كل من قيس بن عاصم والأهتم سنان بن سمي وفدكي بن أعبد المنقريون: إن قيس بن عاصم كان من أبرز صحابة النبي (ص) في بني تميم[٤٤]؛ والأهتم لم تكن له صحبة على ما يبدو، لكنه قاتل في يوم الكلاب الثاني[٤٥]، وكان ذلك بعد مبعث النبي

---

(٤١) كان سمن أخذ المرباع في الجاهلية (المحبر، ص ٤٦٣).

(٤٢) انظر الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، de Goeje MJ. and others, Leiden 1879-1901 سلسلة ١، صص ١٩٦٠-١؛ وقارن البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق صلاح المنجد، القاهرة ١٩٥٦-٥٧، ص ١٠١س١٧؛ ابن أعثم (أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ٣١٤هـ)، (الفتوح)، حيدرأباد ١٩٦٨-٧٥، صص٤٥-٧، ٤٨س٩؛ الكلاع البلنسي (أبو الربيع سليمان بن موسى ٦٣٤هج)، تاريخ الردة (مجتزأ من كتابه: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي المصطفى ومغازي الخلفاء)، تحقيق خورشيد أحمد فارق، نيودلهي ١٩٧٠، صص ١٣٥-٦.

(٤٣) وهي أيام جدود، والنباج وثيتل، والزويرين؛ انظر :نقائض جرير والفرزدق، تحقيق Bevan. A.A.. Leiden 1905-7 (الفهارس)؛ ابن الأثير (عز الدين علي أبو الحسن بن محمد ٦٣٠هج)، الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٦٥-٧، ج١، صص ٦٠٤-٦.

(٤٤) عينه النبي (ص) على صدقات واحد من التجمعين الرئيسيين داخل بني سعد التميميين، وهو "مقاعس والبطون" (أغاني، ج١٤، ص ٧٦س٢؛ الطبري، سلسلة ١، صص ١٩٠٨-٩).

(٤٥) النقائض، صص ١٤٩-١٥٥.

(ص)[٤٦]؛ أما فدكي بن أعبد فقد ظهر ابنه مسعر ظهوراً واضحاً في أحداث الحرب الأهلية الأولى في الخلافة الإسلامية ولقي مصرعه بعد ذلك في معركة النهروان في سنة ٣٨هج (٦٥٨/٦٥٩)[٤٧]. أيضاً معلوماتنا عن بعض فرسان القبائل العاملين جنباً إلى جنب مع حمران في تلك المواجهات لها دلالتها هي الأخرى. فأشهر هؤلاء الفرسان هو الحارث بن شريك[٤٨]، الملقب بالحوفزان، ووالد الحوفزان هذا، شريك بن عمرو، كان، كما نفهم من ابن الكلبي، قد كلفه النعمان بن المنذر قيادة القوة المنوط بها حفظ الأمن والنظام في مدينة الحيرة[٤٩].

أيضاً ما نملكه من معلومات عن أبناء عم عبد عمرو بن بشر لحاً تشير إلى الاتجاه نفسه. فللشاعر الأعشى ميمون بن قيس، وهو، مثل طرفة وعبد عمرو، ينحدر من ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، هجاء مقذع في أولاد شرحبيل بن عمرو ابن مرثد، وهو يخص بالذكر ضبيعة ووائلاً[٥٠]. طبعاً كان الأعشى من رجال أواخر القرن السادس وأوائل السابع للميلاد، وإذا صح خبر وفادته على النبي بالمدينة[٥١]، فإن حياته تكون قد امتدت إلى نهاية العشرينات من القرن السابع. ومهما يكن من أمر فإن معاصرة أبناء شرحبيل ابن عمرو بن مرثد للأعشى تعني في الوضع الطبيعي أن أبناء بشر بن عمرو بن مرثد، ومنهم عبد

---

(٤٦) كان يوم الصفقة من مقدمات يوم الكلاب الثاني، ويقول ابن الأثير: كان يوم الصفقة وقد بعث النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو بمكة بعد لم يهاجر (تاريخ، ج١، ص ٦٢١س٢٠).

(٤٧) الطبري، سلسلة ١ (الفهارس).

(٤٨) انظر أخباره في النقائض (الفهارس).

(٤٩) "ولي شرطة المنذر والنعمان من بعده" (أبو منذر هشام بن محمد بن السائب ت٢٠٤هج، جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، بيروت ١٩٨٦، ص ٥١٠ س١٦). اقتبسه Kister, M.J., ("Al-hira: some notes on its relations with Arabia", Arabica XV (1968), p. 159, note 3). وانظر أيضا الميداني، مجمع الأمثال، رقم ٣٦١ (ج١، ص١٢٣س٢).

(٥٠) الديوان، تحقيق محمد محمد حسين، بيروت ١٩٨٣، قصيدة ٤٤.

(٥١) يأتي ذلك في سياق قصيدة منسوبة إليه في مدح النبي عليه السلام (السابق، قصيدة ٧١).

عمرو، كانوا هم أيضاً معاصرين له.

هناك زعيم قبلي آخر يظهر بوضوح في شعر طرفة، ومعلوماتنا عنه- مع أنها قليلة جداً - تشير أيضاً من غير شك إلى انتمائه إلى أواخر القرن السادس وأول السابع من التاريخ الميلادي. إنه قتادة بن مسلمة/سلمة الحنفي الذي يمدحه طرفة بقصيدة يرويها الأصمعي وتنتهي ببيت حاز على إعجاب البلاغيين على مر العصور[٥٢]. كان قتادة، بالإضافة إلى نفوذه الواسع في منطقة اليمامة[٥٣]، شاعراً هو الآخر، إذ يسجل له أبو تمام في حماسته قصيدة قصيرة نسبياً يتحدث فيها عن بعض حروبه مع بني تميم [٥٤]. هذه القصيدة مهمة في هذا السياق من حيث إنه يذكر فيها. "سراة آل مقاعس" بوصفهم قادة الجماعات التميمية المعادية[٥٥]، إذ إن بني مقاعس كانوا مغمورين تماماً قبل أن يظهر فيهم قيس بن عاصم وفدكي بن أعبد والأهتم[٥٦]، وهؤلاء نشطوا جميعاً، كما مرّ؛ قبل قليل، في العقود الأولى من القرن السابع للميلاد. إن هذا التحديد لهوية "آل مقاعس" في شعر قتادة يتفق مع رواية نادرة مدونة في كل من أمثال الميداني[٥٧] ومعجم

---

(٥٢) فسقى بلادك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي

(الديوان، قصيدة ٧). ومناسبتها أن قوم طرفة؛ "أصابهم سنة فأتوا قتادة فأحسن عطيتهم".

(٥٣) يرد اسمه في قائمة الجرارين (ابن حبيب، المحبر، ص٢٥٠).

(٥٤) المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ٤٢١هـ)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، بيروت ١٩٩١، قصيدة ٢٥٨.

(٥٥) قاتلتهم حتى تكافأ جمعهم والخيل في سبل الدماء تعوم
إذ تتقي بسراة ال مقاعس حذر الأسنة والسيوف تميم

(٥٦) كانت زعامة بني سعد من قبل في يد بني عوف بن كعب (قارن: ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٨، قصائد: ٧، ١٩، ٢٠؛ Kister M.J., "Mecca and Tamim (Aspects of their relations", *Journal of the Economic and social history of the Orient*, viii (1965).PP 154f. Irsan Ramini, *The Tribe of Tamim and the origins of the early crisis in the Caliphate*. Ph.D.thesis, Cambridge Un. 1989, p. 17f.

(٥٧) مجمع الأمثال، ج٤، ص ٤ (اقرأ "قتل فيه قيس بن عاصم قتادة بن سلمة الحنفي").

ياقوت[٥٨] تخبرنا أن قتادة بن مسلمة لقي مصرعه يوم الستار على يد قيس بن عاصم المنقري. ودليل آخر على تعيين الفترة التي نشط فيها قتادة يمكن أن يلتمس في شعر للبيد بن ربيعة العامري يرثي فيه جماعة من بني عامر بن صعصعة قُتلوا، كما يقول ابن منظور، في حرب مع قتادة بن مسلمة الحنفي[٥٩]؛ ومعلوم أن لبيداً كان من شعراء العقود الأولى من القرن السابع للميلاد وقد صحب النبي (ص) وعاش طويلاً بعده[٦٠]. إضافة إلى ما سبق، يرى الإخباريون في معرض حديثهم عن مطاردة ملك الحيرة للحارث بن ظالم المري[٦١] ان هذا الأخير دخل مرة في جوار قتادة بن مسلمة؛ ونفهم منهم أيضاً في معرض حديثهم عن حرب داحس والغبراء أن قتادة بن مسلمة كان من بين الشيوخ الذين استجار بهم بنو عبس حين كان هؤلاء يطوفون بالقبائل بحثاً عن الحماية في أعقاب مقتل حذيفة بن بدر الفزاري في يوم الهباءة المشهور. إن الإشارة إلى هذه الأحداث تبدو مهمة هنا من حيث إنها جميعاً وقعت في عهد النعمان بن المنذر[٦٢].

بالإضافة إلى عبد عمرو بن بشر وقتادة بن مسلمة، يذكر طرفة بصورة عابرة أسماء زعماء قبليين آخرين معاصرين له كما هو واضح من سياق الشعر؛ وإذا صح تقديرنا بخصوص هويتهم، فإنهم هم الآخرون يكونون قد نشطوا عشية الإسلام. إن أسماءهم ترد في قصيدة نونية لطرفة بقي منها خمسة أبيات فقط [٦٣]،وهي تجري على النحو التالي:

---

(٥٨) معجم البلدان، ج٣، ص٣٨ س١٧-٢٠ (قارن ج٢، ص٨٩س١٠).

(٥٩) لسان العرب، مادة:سنر.

(٦٠) (ديوان لبيد)، تحقيق إحسان عباس، الكويت ١٩٦٢، ص ١١.

(٦١) أخبار هذه المطاردة يرويها أبو الفرج في إسهاب شديد (أغاني) ج١١، صص٩٤-١٦٣).

(٦٢) أولا، رواية مقتل الحارث بن ظالم في عهد النعمان هي رواية كل من البصريين والكوفيين (أغاني ج١١، ص١٢٠ س٣)، وثانيا، مقدمات حرب داحس والغبراء نشأت في بلاط النعمان، وفقا لرواية نادرة لكنها صحيحة يذكرها البلاذري (أنساب الأشراف)، ج٢ (مخطوط)، ص١١٢٢ س١٠-؛ وانظر (Ramini, *Origins of crisis*, pp. 19-20).

(٦٣) الديوان، قصيدة ٨٧.

أبلغ ســـراة بنـــي بكـــر مغلغـــة فجدع اللـــه مـــن أذانهـــا اليمنـــا
عنيـــت ثعلبـــة العجلـــي مألكـــة عند الحوادث إذ ألّـــى وإذ غبنـــا
والمرء قيساً يرى نواحـــة بعثـــت تبكي لميت ولا تبكي بـــه شـــجنا
وهاننا هانئاً في الحـــي مومســـة ناطت سخابا وناطت فوقـــه ثكنـــا
ما دافعوا فـــيرى فيهـــم مكـــانهم ولا سمعنا لها من ذكرهـــا حســـنا

لا يحاول محققا ديوان طرفة تحديد هوية "سراة بني بكر" (ثعلبـــة وقيـــس وهانىء) المذكورين في هذه الأبيات، سوى أنهما يفسران "ثعلبة العجلي" بقولهما: "ثعلبة العجلي: بنو ثعلبة من أجداد طرفة"(٦٤)؛ وهذا أيضاً ما يقوله على الجنـــدي "ثعلبة العجلي: يقصد بني ثعلبة وهو أحد أجداد طرفة" (٦٥). لكن طرفة ليس من بني عجل، ثم هو لا يومئ، كما يبدو، إلى عشائر، بل إلى أفراد بكر بن وائل. إن تاريخ هذه القبيلة كما وصل إلينا لا يعرف زعيماً مشهوراً باسم ثعلبة إلا ثعلبة بن سيار العجلي، المذكور في موطنين من قصيدة منتخبة من قصائد الشعر الجاهلي منسوبة إلى المفضل النكري، من عبد القيس(٦٦). ويورد ابن دريد أحـــد هذيـــن الموطنين، ثم يقول معلقاً "يريد ثعلبة بن سيار.... وهو صاحب قبة ذي قار "(٦٧). إذا صح ذلك فمن المرجح جداً أن يكون قيس وهانئ المذكورين هنا فـــي شـــعر طرفة هما قيس بن مسعود الشيباني، أشهر زعيم بكري علـــى الإطـــلاق فـــي عصره، وهانئ بن قبيصة الشيباني، ولكليهما-كما هو حال ثعلبـــة بـــن ســـيار- علاقة وثيقة بيوم ذي قار؛ هذا اليوم يعود تاريخه، كما نعرف، إلى ما بعد إقصاء النعمان بن المنذر عن عرش الحيرة في عام ٦٠٢/٦٠٤م.

---

(٦٤) السابق، ص١٩٨ حاشية ٢.

(٦٥) ديوان طرفة، بيت ٧،٩(ص٢٣٢).

(٦٦) الأصمـــعي (أبو سعيد عبد الملك بن قريب ٢١٦هج)، (الأصمعيات)، تحقيـــق أحمـــد محمد شاكر و عبد السلام هارون، بيروت ١٩٦٣، قصيدة ٩٦، البيتان ١٨، ٣٤.

(٦٧) جمهـــرة اللغـــة، حيدرأباد ١٣٤٥هج، ج٣، ص ٥٠٣. ويسميه ابن حزم "ثعلبـــة بـــن حنظلة بن سيار" (جمهرة أنساب العرب، ص ٣١٢)، ولعل هذا يفسر تسمية صاحب قبة ذي قار في بعض المصادر بـــ "حنظلة بن سيار".

ليس فقط سجل الشخصيات القبلية في شعر طرفة هو الذي يبين أن الشاعر ينتمي إلى أواخر القرن السادس للميلاد، بل أيضاً يتضمن شعره أدلة أخرى على ذلك، وبالتحديد في قصيدتين: الأولى رائية موجهة إلى "عمرو ابن هند"، وفيها تحريض على الأخذ بثأر أمير لخمي يكنى "أبا حسان"[٦٨]؛ والثانية قصيدته الضادية التي يهاجم فيها الحيرة وبعض حلفائها من القبائل[٦٩]. في حديثهم عن مناسبة القصيدة الأولى، يقول شراح شعره إن أبا حسان المذكور فيها هو عمرو بن أمامة، وهو أخ غير شقيق لعمرو بن هند، وإنه كان قد وقع بينه وبين هذا الأخير خلاف على السلطة في الحيرة، بحيث انتهى به الأمر إلى أن ذهب إلى اليمن واستعان بملكها الحميري، فأرسل هذا معه جماعة من مراد عليهم هبيرة بن عبد يغوث، الملقب بالمكشوح. لكن المراديين، كما يقول الشراح، ثاروا به وهم في الطريق إلى العراق وقتلوه في واد يقال له قضيب من أرض قيس عيلان، فقال طرفة هذه القصيدة يرثيه ويحرض عمرو بن هند على الأخذ بثأره[٧٠] وكان طرفة حين رافق عمرو بن أمامة في رحلته تلك إلى اليمن، كما تقول القصة، قد أودع ماله عند عمرو بن قيس بن عامر الشيباني، الملقب بالأصم[٧١].

مهما يكن من أمر الاضطراب الظاهر حتى في الخط العريض لقصة مناسبة القصيدة كما هو مبين أعلاه[٧٢]، فإن القصة بشخصياتها المسماة فيها،

---

(٦٨) الديوان، قصيدة ٤١.

(٦٩) الديوان، قصيدة ٥٦.

(٧٠) القصة في أكثر صورها تفصيلاً يرويها الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم ٣٢٨هـ)، شرح القصائد السبع الطوال، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٩، ص ص١١٧-٢١؛ وانظر أيضا: المرزباني، (معجم الشعراء)، ص ١٢؛ ياقوت، معجم البلدان، مادتا: قضيب، مرجح.

(٧١) السابق.

(٧٢) انتهى الحكم الحميري في اليمن في أوائل العشرينات من القرن السادس للميلاد، وحين عاد الحميريون إلى الحكم لفترة قصيرة نسبيا، بعد طرد الأحباش في أواسط السبعينات من ذلك القرن، كانوا يعملون تحت وصاية الفرس، وبالتالي لم يكونوا ليؤيدوا ثورة ضد الحيرة.

وبالتحديد هبيرة بن عبد يغوث المرادي وعمرو بن قيس الشيباني، لا تتفق زمنياً مع فترة عمرو بن المنذر الثالث، بل مع فترة النعمان بن المنذر. فهبيرة المكشوح، الذي تدعي القصة أنه قتل عمرو بن أمامة، يرد ذكره في أخبار يظهر منها أنه كان على صلة وطيدة بيزيد بن عبد المدان الحارثي[٧٣]. إن يزيد هذا، بالإضافة إلى أنه من ممدوحي الأعشى ميمون بن قيس[٧٤]، كان من قادة الجيش اليمني في يوم الكلاب الثاني، الذي وقع في العقد الثاني من القرن السابع للميلاد، وفي بعض الروايات أنه قتل في ذلك اليوم[٧٥]، لكن كتب الصحابة تذكره بين أعضاء وفد نجران إلى النبي (ص)[٧٦]. أيضاً كان المكشوح متزوجاً من أخت لعمرو بن معدي كرب الزبيدي[٧٧]، وهذا الأخير أدرك النبي وشهد فتح الشام والعراق[٧٨]. ودليل آخر على الجيل الذي ينتمي إليه هبيرة هو أن ابنه قيس بن المكشوح، وكان سيداً مرموقاً جداً، نشط في عصر النبي وخلافة الراشدين. فقد كان من زعماء أهل اليمن الذين أعلنوا ولاءهم للنبي ثم ارتدوا، لكنه ثاب إلى الإسلام، وشارك بعد ذلك في عمليات الفتح في كل من العراق والشام، واستقر به المقام في الكوفة، ثم شهد صفين مع علي بن أبي طالب وقُتل في المعركة في سنة ٣٧هج (٦٥٧/٦٥٨م)[٧٩].

---

(٧٣) انظر الأغاني، ج١٢، ص ص ٥- (في بعض المواطن يتغير الاسم إلى "قيس بن المكشوح"، وهو تصحيف كما يبدو أو تداخل في الرواية (قارن ما سيأتي).

(٧٤) الديوان، قصائد: ٢٢:٢٧، ٣٢:٤٧، ٤٢.

(٧٥) أغاني، ج١٦، صص ٣٢٩-. وتذكر له المصادر أيضا مجموعة من الأخبار مع معاصرين للنبي (ص)، مثل: دريد بن الصمة، وعامر بن الطفيل، وقيس بن عاصم (المصدر نفسه، ج١٠، صص ٣٥-٩، ج١٢، صص ٩-٠ ، على التوالي).

(٧٦) ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي٨٥٢هج)، (الإصابة في تمييز الصحابة)، القاهرة ١٩٠٧، ج٦، ص٣٤٥.

(٧٧) خزانة الأدب، ج١٠، ص٢١٠.

(٧٨) انظر أخباره في الأغاني، ج١٥، صص ٢٠٨ .

(٧٩) لمزيد من التفاصيل حول هذه النشاطات، انظر الطبري (الفهارس).

أيضاً تشير الأخبار الخاصة بعمرو بن قيس الشيباني[٨٠]، الذي يقال إن طرفة استودعه ماله، إلى أنه بالفعل كان، كما تتضمن القصة، معاصراً لهبيرة بن عبد يغوث. فهو من جانب، له ذكر في أراجيز الأغلب العجلي (الشاعر المخضرم)[٨١]، ومن جانب آخر، تسجل له روايات أيام العرب نشاطات تعود في تاريخها إلى زمن البعثة النبوية[٨٢]، ومن جانب ثالث، ظهر ابنه مفروق بن عمرو على مسرح الأحداث عشية حركة الفتح الإسلامي [٨٣]، وكان واحداً من الشيوخ البكريين الذين قاوموا نفوذ المدينة في شرق الجزيرة العربية[٨٤].

أما قصيدة طرفة الثانية فهي تحتوي على دليل من نوع مختلف، لكنه لا يقل أهمية عما سبق. فهذه القصيدة، كما مر قبل قليل، تتأجج ثورة على الحيرة وعلى الجماعات القبلية المتحالفة معها في هجر، وفي خضم هذه الثورة يحذر طرفة "أهل المشقر والصفا" من انتقام قومه ويسميهم "عبيد أسبذ"[٨٥]:

خذوا حذركم أهل المشقر والصفا عبيد أسبذ والقرض يجزي من القرض

---

(٨٠) له ترجمة في: المرزباني: معجم الشعراء، ص ٣٨؛ الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر ٣٧٠هج)، المؤتلف والمختلف، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة ١٩٦١، صص٥١-٢.

(٨١) انظر: (النقائض) (راجع الفهرس)؛ ابن الأثير: تاريخ، ج١، صص ٦٠٤-٦٠٦ (لاحظ أسماء بعض الشيوخ المذكورين في هذه النشاطات: حمران بن عبد عمرو، والحوفزان بن شريك، والأعشى).

(٨٢) ابن الأثير تاريخ، ج١، ص٦٠٥؛ قارن النقائض، ص٢٤٥.

(٨٣) السابق، ج١، صص ٦١٢-٣ (خبر يوم الإياد).

(٨٤) الطبري، سلسلة ١، ص١٩٧٣.

(٨٥) رواية "بني عمنا" محاولة واضحة لتغطية ما توهمته بعض الدوائر من أن طرفة يشير إلى عقيدة وثنية (انظر ما سيأتي)؛ على الأقل، "بني عمنا" لا تتفق مع السياق، ويثبت ابن الجواليقي رواية "عبيد أسبذ"، ويشير إلى رواية أخرى هي "عبيد العصا"، لكنه لا يشير إلى "بني عمنا" (موهوب بن أحمد ٥٤٠هج، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، طهران ١٩٦٦، ص٣٩). من جانب آخر، يغفل دريسة الخطيب/لطفي الصقال أن يشيرا في التحقيق إلى رواية "عبيد أسبذ"، مع أن الجندي يشير إليها في تحقيقه للبيت.

تختلف المصادر في تفسير كلمة "أسبذ" الواردة في البيت: فرأي يذهب إلى أن أصلها "أسب" ثم زيدت الذال تعريباً، وهي كلمة فارسية معناهـــا الفـــرس أو البرذون، والمراد هنا قوم من أهل البحرين كانوا يعبدون الخيل؛ ورأي ثان يفيـــد أن "أسبذ" قرية، ثم ينقسم أصحاب هذا الرأى إلى فريق يقول إنهـــا قريـــة فـــي البحرين وفريق آخر يجعلها قرية في عمان[٨٦]؛ ورأى ثـــالث يمثلـــه أبوعمـــرو الشيباني وأبو عبيدة ونفهم منه أن "أسبذ" هو اسم لقائد من قـــواد كســـرى علـــى البحرين وأن أفراد المسلحة الفارسية التابعة له، ومقرها المشقر، كانوا يســـمون الأسابذ[٨٧]. من الواضح أن الرأي الأول في "عبيد أسبذ" يحاول تفسير العبـــارة تفسيراً معجمياً كما هي في أصل اللغتين الفارسية والعربية، لكنه في الوقت نفسه يفتقر إلى رؤية تاريخية محددة وأيضاً يغفل حقيقة أن طرفة يخاطب هنا العناصر العربية المتحالفة مع الحيرة في البحرين ولا يوجد ما يشير إلى أن هذه العناصر كانت تعبد الخيول أو البراذين. أما الرأي الثاني فإنه لا يقيم وزناً للارتباط فـــي بيت طرفة بين "عبيد أسبذ" من ناحية والمشقر والصفا من ناحيـــة ثانيـــة، وهـــو ارتباط ظهر مرة أخرى في شعر منسوب إلى مـــالك بـــن نويـــرة الـــيربوعي (صحابي)[٨٨]. إن الرأي الثالث، في المقابل، يبدو معقولاً ومقنعاً تماماً، ثـــم هـــو

---

(٨٦) بخصوص الرأيين، انظر ياقوت، معجم البلدان، مادة: أسبذ.

(٨٧) "وأسبذ: قال أبو عبيدة اسم قائد من قواد كسرى على البحرين" (الجواليقـــي، المعـــرّب، ص٣٩)؛ "قال أبو عمرو: الأسابذ قوم من الفرس كانوا مسلحة المشقر" (السابق، ص٤٠)؛ أسبذ اسم ملك كان من الفرس ملكه كسرى على البحرين فاستعبدهم وأذلهم، وإنما اســـمه في الفارسية أسبيدويه، يريد الأبيض الوجه، فعرّبه طرفة" (ياقوت، ومعجم البلدان، مادة: أسبذ (رواية أبي عمرو الشيباني)).

(٨٨)

أرى كـــل بكـــر ثـــم غـــير أبيكـــم وخالفتم حجنا مـــن اللـــؤم حيـــدرا
أبى أن يريم الدهـــر وســـط بيوتكـــم كمـــا لا يريـــم الأســـبذي المشـــقرا

(ياقوت، معجم البلدان، مادة: أسبذ) على أية حال، لا يتناقض هذا الرأي بالضرورة مع ما يقوله أبو عمرو وأبو عبيدة، إذ ربما أسس هؤلاء الأسابذ فيما بعد قرية سميت باسمهم.

معزّز أيضاً. فبالإضافة إلى أن له تمثيلاً في كل من البصرة والكوفة، فإنه يجد ما يؤيده في حديث مرفوع إلى ابن عباس يفيد أن الأساورة هم قوم من مجوس البحرين، وأن مندوباً عنهم قدم إلى المدينة للتفاوض مع النبي حول طبيعة العلاقة التي ستربطهم بالمسلمين[٨٩]. إن هذا يتفق مع الخط العريض لتاريخ المنطقة آنذاك، فقد انقسم حكام البحرين الفرس بين مؤيد للنبي (ص) ومعارض له، معبرين بذلك عن تأثرهم بحالة نزاع شديد على السلطة عصفت بالبلاط الفارسي في أعقاب اغتيال كسرى أبرويز في سنة ٦٢٨م[٩٠]. الآن، إذا كان طرفة يشير في البيت السابق إلى قائد المسلحة الفارسية المرابطة بالمشقر، فلا بد أن يكون قد نظم قصيدته تلك بعد تولي كسرى أبرويز السلطة في فارس في سنة ٥٩١م. ذلك أن أبرويز هذا قبل أن يُقصي اللخميين عن الحكم في الحيرة ويضع المدينة تحت رقابة فارسية مباشرة في مطلع القرن السابع للميلاد كان قد اتخذ هذا الإجراء نفسه في المشقر التي كانت حتى ذلك الوقت تحكمها كندة لصالح الفرس[٩١].

إذن، تشير كل الأدلة الممكنة في شعر طرفة بن العبد إلى أن هذا الشاعر ينتمي، في حقيقة الأمر، إلى عصر النعمان بن المنذر، ومن ثم تؤكد أن عمرو بن هند المذكور في شعره والمسؤول، حسب المصادر، عن مقتله إنما هو عمرو بن المنذر الرابع، وليس عمرو بن المنذر الثالث. بقي أن نقول إن المعلومات المتعلقة بطرفة من خارج شعره تكاد تنحصر في قصة مقتله، وهي قصة يختلف الإخباريون في بعض تفاصيلها، بالإضافة إلى ما يعتريها من عناصر القصص الشعبي. لا توجد بين أيدينا وسائل علمية يمكن بها أن نفحص

---

(٨٩) يقول ابن عباس "جاء رجل من الأسبذيين من أهل البحرين، وهم مجوس أهل هجر، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكث عنده ثم خرج، فسألته: ما قضى الله ورسوله فيكم؟ قال: شراً؛ قلت: مه؛ قال: الإسلام أو القتل." (البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ت٤٥٨هج)، (السنن الكبرى، حيدر أباد ١٣٤٤ ١٣٥٦هج، ج٩، ص ١٩٠).

(٩٠) Frye, R.N., "The Political history of Iran under the Sasanians", *The Cambridge history of Iran*, Cambridge 1983, 3/1, pp. 170-1.

(٩١) انظر عرسان الراميني، "حلقة مفقودة في تاريخ مملكة كندة" (يتوقع نشره في وقائع المؤتمر العلمي الثاني لجامعة صلاح الدين، أربيل، العراق).

هذه القصة، لكن تجدر الإشارة إلى أنها لا تحتوي على معلومات تتعارض مع نتيجة هذا البحث. في الواقع، تبدو بعض التفاصيل مساعدة تماماً. فالرواة، مثلاً، يختلفون في تسمية من يصفونه بأنه عامل عمرو بن هند على البحرين، أي الذي قيل إنه تسلم صحيفة طرفة ونفذ أوامر الملك، وهم يذكرون هنا أسماء ثلاثة من العرب وفارسي واحد هو فروز/فيروز بن جشنس/جشيش، الملقب بالمكعبر. إن المصادر لا تساعد في التعرف على أي من الشخصيات العربية الثلاث[٩٢]، أما المكعبر فقد برز اسمه في بعض الأحداث المهمة في شرق الجزيرة، وهذه الأحداث وقعت في زمن البعثة النبوية، وهي تحديداً يوم الصفقة المشهور[٩٣] وحرب الردة[٩٤]. على أن قصة مقتل طرفة في البحرين ربما تكون برمتها غير صحيحة، على الرغم من أنها تمثل الرأي السائد في المصادر. فابن خلكان يخبرنا في رواية فريدة أن عمرو بن هند بعث طرفة والمتلمس بالصحيفة إلى الحيرة، وليس إلى البحرين[٩٥]. أي أنه بعثهما إلى صاحب سلطة أعلى يقيم بالحيرة، وهو في هذه الحالة ينبغي أن يكون النعمان بن المنذر. وهكذا يبدو أن لدينا أساساً كافياً للاعتقاد بأن قصة نهاية حياة طرفة تعني أن الشاعر لم يمت قبل نهاية القرن السادس للميلاد.

---

(٩٢) فقط المعلّى بن حنش من بين هؤلاء يمكن أن يكون له صلة بالجارود العبدي، الصحابي المشهور. فابن حزم يذكر أن اسم الجارود هو أبو غياث بن حنش بن المعلى (جمهرة أنساب العرب، ص ٢٩٦)؛ ويذكر ابن دريد في (الاشتقاق) (ص٣٠٦) أن اسم الجارود هو بشر بن المعلى ؛ لكنه يذكر في (جمهرة اللغة) (ج٢، ص٨٥) أن اسمه بشر بن عمرو بن المعلى.

(٩٣) الطبري، سلسلة ١، صص ٩٨٤-٨.

(٩٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٠٣. وقد ظهر المكعبر أيضاً في أحداث فتح فارس بعد ذلك ببضع سنوات (الطبري، سلسلة١، ص٢٦٩٩).

(٩٥) ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد ٦٨١هج)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨-٧٢، ج٦، صص ٩٢-٣.

خاتمة

إن غالبية الشعراء الجاهليين المشهورين يشتركون مع طرفة بن العبد في أن لهم أخباراً مع كل من عمرو بن هند والنعمان بن المنذر، وهي أخبار تؤكدها الأشعار المنسوبة إليهم. على أن الفرق بينه وبينهم هو أن حياته انتهت على يد عمرو بن هند؛ ولما كان الإخباريون قد اعتقدوا أن هذا الأخير هو ابن المنذر الثالث، أصبح من الصعب على الدارسين أن يقتنعوا بصحة الإشارات القليلة الخاصة بصلة طرفة بالنعمان، فرفضوها أو أهملوها تماماً. حتى جامعو شعر طرفة من القدماء أسقطوا لهذا السبب كما يظهر تلك الأشعار التي يذكر فيها طرفة النعمان بن المنذر، مع أن بعضها يبدو حقيقياً جداً، في الأقل لأنه يحوي تفاصيل قبلية بزخم لا نجده في أي موطن آخر في ديوانه. أما الشعراء الآخرون فسجلاتهم تخلو من أية إشارة مباشرة تحول دون قبول ما يروى عن علاقتهم بكلتا الشخصيتين اللخميتين. لذا كان من الطبيعي أن يؤدي هذا الوضع إلى ظهور تصورات غير دقيقة، ليس فقط على صعيد الارتباط السياسي للشعر الجاهلي، بل أيضاً على صعيد تحديد الأطر الزمنية لحيوات الشعراء ذوي العلاقة؛ لقد دخلت أسماؤهم جميعاً إلى قائمة "المعمّرين"، أي الذين جاوزت أعمارهم التسعين عاماً. إن هذا، مرة أخرى، مبرر تماماً: فالشاعر الذي استطاع أن يحقق شهرة أدبية واسعة وكذلك نفوذاً قبلياً كبيراً، بحيث يكون في موقع يؤهله للاتصال ببلاط عمرو بن المنذر الثالث في الخمسينات من القرن السادس للميلاد، فمن المتوقع أن يكون قد ولد في أوائل ذلك القرن إن لم يكن قبل ذلك؛ وما دام قد عاصر أيضاً النعمان بن المنذر، الذي انتهت حياته قسراً في بداية القرن السابع، فمن البديهي إذن أن يوصف شاعر من هذا القبيل بأنه من "المعمّرين"، أو من "الذين طعنوا في السن". فالحارث بن حلزة "كان من المعمرين"، وأيضاً "عمرو بن كلثوم من المعمرين، ولعله أوفى على المئة"، وزهير بن أبي سلمى "عمّر طويلا"، وعلقمة بن عبدة "عاش حتى عاصر النعمان أبا قابوس وعمّر بعد ذلك طويلاً" وكذلك عنترة "عمّر طويلاً"، والمتلمس "عاش حتى أسن"، وبشر بن أبي خازم قتل "بعد أن أسن كثيراً فيما يبدو"، والنابغة الذبياني "قد

أسن جداً"، وعبد قيس بن خفاف البرجمي "عاش، حتى طعن في السن"(٩٦).

ومع ذلك لم يكن ممكناً، على الأقل من الناحية الفنية، أن نوظف أي واحد من هؤلاء الشعراء كما وظفنا طرفة، في الوصول إلى ما وصلنا إليه، لأنه من السهل على بعض القراء أن يعترضوا قائلين: إن كون نشاطاتهم المدونة تعود عموماً إلى آخر القرن السادس وأوائل السابع للميلاد لا يشكل أساساً كافياً للاعتقاد بأن عمرو بن هند في أشعارهم هو بالضرورة عمرو بن المنذر الرابع، إذ ربما كانوا أيضاً قد عاصروا عمرو بن المنذر الثالث لكن ذاكرة الرواة لم تحتفظ لهم بنشاطات تعود إلى تلك الفترة. في حالة طرفة، في المقابل، لن ينشأ اعتراض من هذا القبيل؛ إذ تتفق المصادر على أنه مات شاباً، ولما كانت كل الأدلة تشير إلى أنه كان ينتمي إلى جيل ما قبل البعثة، فمن غير المعقول أن يكون قد عاصر عمرو بن المنذر الثالث أيضاً.

في الواقع، قد يتساءل المرء عما إذا كان عمرو بن المنذر الثالث قد لقبه الناس بابن هند قط. صحيح أن أمه هي هند بنت ملك كندة المشهور الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار، وهذا ما جعل الإخباريين يظنون أنه هو المقصود حيثما ورد اسم "عمرو بن هند" أو "ابن هند" في النقولات التاريخية أو الأدبية في سياق لخمي. لكن بعض القرائن تحمل المرء على الشك حقاً فيما يقال من أنه كان يعزى إلى أمه. فعلى النقيض، مثلاً، من ملك كندة يزيد بن عمرو/ شراحيل، الذي ظهر في نقوش شبه الجزيرة العربية ملقباً بابن كبشة(٩٧)، فإن عمرو بن

---

(٩٦) هذه الأقوال أو ما في معناها نجدها عادة حيثما جرى الحديث عن حياة هؤلاء الشعراء، لكنها في نصها المقتبس هنا مأخوذة من عمر فروخ (تاريخ الأدب العربي، ج١، صص١٥٢، ١٤٢، ١٩٥، ٢١٤، ٢٠٨، ١٥٧، ١٦٣، ١٧٩، ١٩٣على التوالي)؛ وانظر أيضاً ترجمات هؤلاء الشعراء في تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري.

(٩٧) Glasser, E., "Zwie Inschriften über den Dammbruch von Marib" Ein Beitrag zur Geschichte Arabiens im 5. u. 6. Jahrhudert nach Chr *Mitteilungen der* وقارن Kister, M. J. "The: Vorderasiatischen Gesellschaft. ii (1897). p. 390. Campaign of Hulnban: a new Light on the expedition of Abraha". Le Muséon *(Revue Dètudes Orientals Tijdschrift Voor Oriëntalisme).* 78 (1965). pp. 434-5. Ramini. *Origins of Crisis, pp. 15-6.*

المنذر الثالث ظهر في هذه النقوش منسوباً إلى أبيه المنذر وليس إلى أمه، هند[٩٨]. أيضاً من المستبعد أن يكون اللقب صادراً عن خصومه، وذلك على سبيل الذم والتحقير. فأمه، هند، كانت سليلة ملوك ونسبته إليها لم تكن من ثم لتحقق أغراضاً من هذا القبيل. حتى في غياب هذا المنطق، فإن علاقة الحيرة بالقبائل العربية في عهده، وبالتالي بالشعراء العرب، كانت وطيدة جداً[٩٩]، بحيث لم يكن يمكن للقب كهذا مقصود به التعريض أن يظهر في الشعر وينتشر. لكن لقب "ابن هند": أولاً، يستعمله الشعراء الجاهليون عادة للتشهير بعمرو بن المنذر، وهم ثانياً يعبرون به عن سخطهم الشديد على الحيرة. إن هذا الوضع يتفق في شقه الأول مع الجانب غير الوقور في قصة هند بنت الأسود الكلبية، الأم المحتملة لعمرو بن المنذر الرابع، ويتفق في شقه الثاني مع حالة الاضطراب الواضح في علاقة القبائل بالحيرة في الجزء الأخير من حكم النعمان بن المنذر.

إن هذا البحث لم يهدف إلى مناقشة "عمرو بن هند" في غير شعر طرفة، لكن صورته في شعره لها الملامح ذاتها في شعر سائر الشعراء الجاهليين، وعلينا أن نعيش هذا الهاجس حتى تظهر دراسة مستقلة تؤكد أن "عمرو بن هند"، حيثما ورد في الشعر الجاهلي، هو عمرو بن المنذر الرابع.

---

(٩٨) ظهر اسم عمرو بن المنذر الثالث في موطنين في النقوش: الأول، في صدر هيكل هند الكبرى، ويخبرنا عنه البكري، ونصه: بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر، الملكة أم الأملاك، وأم الملك عمرو بن المنذر، أمة المسيح، وأم عبده، وأمة عبده، في زمن ملك الأملاك خسرو أنوشروان.... (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ت٤٨٧هج، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة ١٩٦٧-، ص ٦٠٦)؛ والثاني في نقش يمني يسجل حملة حربية قام بها أبرهة في وسط الجزيرة في سنة ٥٤٧/٥٥٢م واصطدم هناك بجيش لخمي يقوده عمرو بن المنذر مندوباً عن أبيه المنذر الثالث (Ryckmans, G., "inscriptions Sud-Arabes", *LeMuséon*, 66 (1935), P. 275. Beeston, A. F.L. "Notes on the Murcighan Inscription", *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 26 (1954), P. 437.

(٩٩) انظر الفصل المعقود بعنوان "Links with the Lakhmids" في Ramini, *Origins of crisis pp. 29-60.*